القبض على «الشاذلى» وسجنه بدون محاكمة!

خلال ١٤ عاما قضاها الفريق الشاذلى فى غربته من نهاية ١٩٧٨م حتى مارس ١٩٩٢م تغير الكثير فى مصر، رحل فيها الرئيس السادات وتولى الحكم بعده الرئيس حسنى مبارك لسنوات تقادمت خلالها الأحكام الصادرة ضد الفريق «الشاذلى» وأصبح المناخ السياسى فى مصر يسمح بعودة الفريق «الشاذلى» إلى مصر، إذ كان «الشاذلى» قد أصابه ملل الغربة فقرر العودة إلى مصر مهما كانت النتائج، وساعده على قرار العودة مسئول كبير فى الدولة وعده وقتها بأن لن يناله أذى عند عودته إلى وطنه مصر خاصة بعدما تقادمت قضيته وسقط عنه الحكم فيها، وامتدت مدة حكم مبارك وقتها ١٩٩٢م إلى ما يزيد عن عشر سنوات مدة تسمح بتقادم الحكم القديم الذى صدر ضده (٣سنوات سجن) فكان قرار «الشاذلى» أن يعود لوطنه مصر فى ١٤ مارس ١٩٩٢م.

وفى هذا اليوم، كانت أسرته تنتظر وصوله بشوق فى مطار القاهرة، ولكن كانت المفاجأة الصادمة أن فوجئ الفريق «الشاذلى» بالقبض عليه لحظة وصوله إلى أرض المطار! فى استقبال ينبئ بمتاعب كبيرة تنتظره فى مصر، فكانت مفاجأة كبيرة «للشاذلى» لحظة رجوعه أرض الوطن وصادمة أيضا للمسئول الكبير الذى وعده بالأمن فى وطنه!

ولما طال انتظار أسرة «الشاذلى» لخروجه مع ركاب الطائرة ولم يخرج لهم حاولت أسرته الاستعلام عن سر تأخره من مسئولين بالمطار فلم يجبهم أحد، فأدركت أسرته أن شيئا ما قد حدث له، فعادوا إلى منزلهم يبحثون فى الإذاعات الأجنبية عن خبر عن عودة «الشاذلى» إلى مصر حتى عرفوا من إذاعة (مونت كارلو) بوصوله إلى مصر والقبض عليه وقيادته إلى مكان مجهول، فاتصلت زوجته السيدة زينات السحيمى بالدكتور مصطفى الفقى برئاسة الجمهورية وهددت بإضرابها عن الطعام واعتصامها أمام مبنى الرئاسة حتى تعرف ماذا حدث لزوجها ؟ وبعد ساعات جاءها الرد وعرفت أن زوجها الفريق «سعد الشاذلى» قيد التحفظ فى المجموعة ٧٥ مخابرات بعد مصادرة حقائبه بما فيها ملابسه ومقتنياته ومؤلفاته وكتبه وصوره وأوراقه الخاصة ومقالاته و٥٠٠ كتاب محتويات مكتبته الخاصة التى جلبها معه وكانت تحمل عناوين سياسية وعسكرية هامة، وتم سحب الكروت العسكرية للعلاج منه وجواز سفره وأوراق أخرى هامة، وتم الاحتفاظ بملفه فى رئاسة الجمهورية حتى يصعب الاطلاع عليه، وتحولت ذكرياته واجتهاداته وثقافاته ومؤلفاته وكل شىء يخصه فى لحظة فارقة قيد التحفظ ١٩ سنة من حياته قضاها بعيدا عن وطنه فى لندن والبرتغال والجزائر تمت مصادرة أوراقها فى لحظة، وكتبت جريدة الشعب بتاريخ ٢٨ / ٧ / ١٩٩٢م تندد بمصادرة أمتعة الشاذلى ومن

بينها سيارته الرسيدس القديمة وطلبت الجمارك من أسرته وقتها دفع ٩٥ ألف جنيه لاستلام السيارة .

ولم يخطر ببال «الشاذلى» ولا المسئول الذى وعده بالأمان عند عودته لمصر ولا بال أحد أن الرئيس مبارك سيحرك القضية من جديد لما وجد فى رجوعه فرصة مناسبة لتنفيذ الحكم القديم والانتقام من «الشاذلى» فكان القبض على «الشاذلى» وسجنه دون محاكمة بأمر من الرئيس مبارك مفاجأة للجميع وللفريق «الشاذلى» نفسه الذى لم يكن بينه وبين مبارك ما يدعو مبارك للانتقام منه.

وعلى الفور تحرك محامو «الشاذلى» وتحركت معهم المنظمات الدولية لحقوق الإنسان ومنظمة العفو الدولية والرأى العام فى مصر، أسرع الجميع بالدفاع عن «الشاذلى» ورأوا أن يرفعوا التماسا للرئيس بإعادة النظر فى الحكم فالأمل كبير فى براءة «الشاذلى» إذا ما تمت محاكمته محاكمة عسكرية عادلة، ولكن للأسف تم رفض الالتماس، وكذا رفض مساعى محاميه ومساعى كل المنظمات الدولية.

صحفيون مدافعون عن «الشاذلى»

وانقسمت أقلام الصحافة منهم من يدين الشاذلى ومنهم من يبرئه، ووصفته وقتها الأقلام المدافعة (بأكتوبر السجين) بقلم محمد أبوالفتح، وكتب يوسف سعد (الشاذلى المفترى عليه) وكتب د. محمود السقا

بعنوان (سلام الله ياشاذلى)، ورحب مصطفى أمين فى عموده اليومى «فكرة» بعودة «الشاذلى» وطالب بأن تحتضن مصر أبناءها الأفذاذ العائدين إليها ولا تدوسهم بالأقدام فمصر فى حاجة إليهم، وتبنت جريدة الشعب قضية «الشاذلى» ودافعت عنه فى مقالات عديدة منها مقالة د. محمد حلمى مراد بعنوان (حياة الشاذلى أمانة فى عنق مبارك ٨ / ٩ / ١٩٩٢م)، ومقالة محمد أبو الفتح (لماذا الاستمرار فى سجن الشاذلى) وكتبت جريدة الأحالى (أوقفوا الجرح الدامى بالإفراج عن الشاذلى ٧ / ١٠ / ١٩٩٢م) وغيرها من المقالات. أما الأقلام المعارضة فطالبت بالقصاص من الشاذلى وادعت باطلا أنه اضطر أن يعود لمصر بعد أن رفضت دول عربية وأجنبية لجوءه إليها وذلك فى جريدة المساء ١٥ / ٣ / ١٩٩٢م، بينما طالبت روزاليوسف بمقاطعته.

برغم أن عودة «الشاذلى» لم تكن مفاجأة كما ادعت بعض الأقلام، فقبل عودته بأربعة أيام كان «الشاذلى» فى لندن قد أعلن عن عودته لمصر ورغبته فى إعادة المحاكمة لثقته ببراءته، كما أبلغ سفير مصر فى الجزائر من قبل ذلك بسنوات باستعداده للعوده لمصر (المصور فى ٢٠ / ٣ / ١٩٩٢م). ولكن للأسف فشلت جميع المحاولات والمساعى القانونية والإنسانية والإعلامية لإنقاذ «الشاذلى» من عقوبة السجن التى كانت قد سقطت من قبل بالتقادم، ورفض الرئيس مبارك أن يعفو عن بطل رفع بانتصاراته رأس مصر والأمة العربية، و جعله سجينا فى

وطن بطولاته، وحرمه التكريم ورفض تعويضه عن بطولته التاريخية فى حرب أكتوبر ١٩٧٣م.

ليقضى «الشاذلى» ثلاث سنوات قادمة من حياته داخل مستشفى السجن الحربى فى وطنه مصر! ليصبح بذلك أول رئيس أركان فى الجيش يحمل رتبة فريق ويزج به إلى السجن ظلما وبدون محاكمة، وليصبح «الشاذلى» بذلك حالة خاصة فى عقوبته كما كان حالة خاصة فى انتصاراته، ولكن ما أثار دهشة «الشاذلى» وقتها فى لغز القبض عليه أن خلافه مع السادات كانت له مبررات، أما موقف الرئيس مبارك فلم يكن واضحا «للشاذلى»، فلم يحدث أى صدام بينه وبين مبارك من قبل يدفعه إلى سجنه والانتقام منه على هذا النحو، وطوال مدة خدمة «الشاذلى» بالجيش كانت تربطه بمبارك علاقات طيبة، فلماذا ماحدث؟ ولما لم يجد إجابة مقنعة استسلم «الشاذلى» لقدره للحكم الصادر ضده بدخول السجن ظلما.

فى سجنه: الشاذلى مريضا برغم أنفه

فور دخول «الشاذلى» إلى السجن فى المستشفى الحربى ندد د. محمد حلمى مراد فى مقاله (حياة الشاذلى أمانة فى عنق مبارك) بالإجراء الذى اتخذته السلطات عند دخول «الشاذلى» المستشفى الحربى ليقضى بها مدة حبسه (ثلاث سنوات) وكأنهم جعلوا منه مريضا برغم أنفه

وكان الإجـراء هو إخلاء مبنى المستشـفى الحربى! ذلـك المبنى المكون من دورين يتسـعان لنحو مائة سرير تم إخلاؤه من جميع العاملين فيه والمرضى الموجودين حتى يصبح «الشـاذلى» وحيدا فى هذا المبنى الكبير كنـوع من الترويع له، ومع افـتراض أن هذا الوضع لا يقصد منه إلحاق الضـرر «بالشـاذلى» إلا إنه يُدخل الانزعاج عليه وعلى أسـرته، وحذر د. محمد حلمى فى مقاله من أنه إذا حدث مكروه «للشـاذلى» من جراء الإخلاء فى مثل هذه الظروف فإنه لا يمكن إلا أن يكون مؤامرة مدبرة، وأن المقصود بهذا الإجراء ترويع الشاذلى وأسرته وأصدقائه ومحبيه وهو عمل يعاقب عليه قانون الإرهاب، ووضع صاحب المقال حياة «الشـاذلى» وسلامته داخل السجن أمانة فى عنق الرئيس مبارك.

وكان اللواء أشـرف راشـد قد تولى وقتها رئاسـة إدارة مستشـفى السـجن الحربى وقت تنفيذ عقوبة «الشاذلى» وأصبحت مهمته متابعة تنفيذ «الشـاذلى» للوائح داخل السجن، وهى نفس اللوائح التى وضعها «الشاذلى» من قبل وكان اللواء أشرف راشد واحدا ممن عملوا تحت قيادة «الشـاذلى» من قبل أثناء حرب الاسـتنزاف فماذا قال عن إجراء إخلاء المبنى من نزلائه المرضى:

«هذا الإجراء تم بأمر من المشـير حسـين طنطاوى تكريما وتمييزا للشـاذلى وليس ترويعا له كما أشيع وقتها، وذلك بعدما رأى المشير أنه لا يليق بالفريق «الشاذلى» أن يقيم مع المخالفين والمجرمين»

ولكن كيف قضى الفريق «الشـاذلى» هـذه الفترة الحرجة من حياته مسجونا؟

واسترسـل اللواء أشرف راشد يحكى عن حياة «الشاذلى» فى السجن فيقول:

كان الفريق «الشـاذلى» رجلا قويا وعسكريا ملتزما، استطاع كعادته أن يتكيف مع حياته داخل السـجن باهتماماته الكثيرة، والتزم بلوائح كان قد وضعها بنفسه من قبل، وقت رئاسته لأركان الجيش.

ولم يدخل الشاذلى زنزانة سجن كما تصور كثير من الناس ولا عاش خلف قضبانه، بل إن المشير حسين طنطاوى شخصيا قد أوصانى بالقيام على راحة الفريق «الشاذلى» وأمر بأن يقيم فى جناح كبير فى المستشفى الحربى، لتهيئة إقامة مريحة له طوال فترة سـجنه، فلم يكن الفريق «الشـاذلى» يُعامل كسجين بل كضيف لمدة اسـتضافة محددة، وبأمر من المشـير طنطاوى تم تجهيز حجرته بأثاث خشـبى كامـل ومميز وكان بحجرته حمام خاص ومكتب وثلاجـة خاصة وتليفزيون، ولما لاحظنا توافد الكثيرين لزيارته فى سـجنه خصصنا حجرة لاسـتقبال ضيوفه لكثرتهـم، فكان كثير من الضباط والجنود والقادة يقومون بزيارته وفاءً لقائـد صنعـوا تحت قيادته النصـر لمصر، وكان من بين زواره حسـين الشـافعى وعبدالقادر حـاتم وأحمد حمـروش، وكان بحجرته جرس ليستدعى به الحرس الخاص به لتلبية مطالبه وقتما يشاء.

ولازال الحديث للواء أشرف راشد فيقول:

لم تتغير عادات «الشاذلى» اليومية طوال مدة إقامته بالسجن، فكان مثالا للالتزام والانضباط، يبدأ يومه كعادته مع الفجر للعبادة (الصلاة وتلاوة القرآن) ثم يقوم بعمل التمرينات الرياضية اليومية فى حجرة الرياضة المواجهة لحجرته والتى تم تجهيزها خصيصا له حسب طلبه، وكان من فرط دقته يستخدم الميزان قبل وبعد استخدامه للعجلة الرياضية لحساب الفاقد من وزنه بدقة، وكان يلتزم بنظامه الغذائى الصحى ويحرص على تناول وجبات خفيفة وصحية ومياه معدنية، وبعد الإفطار يطالع الجرائد اليومية ليتعرف من خلالها عما يدور من أحداث فى مصر، وكانت مطالعته للجرائد غاية فى الدقة، فكان يضع خطوطا بقلمه تحت أخبار معينة، خاصة مؤشرات البورصة التى كانت تكشف له عن الحالة الاقتصادية فى مصر، وكانت له علاقة وطيدة بالمصحف وكان يحرص عند تلاوته على استخدام الورقة والقلم ليستخرج آيات لها دلالات خاصة لديه ويسجلها فى أوراقه ليمكن الرجوع إليها والاستدلال بها فى كتاباته.

ولازال الحديث للواء أشرف راشد فاستطرد يقول:

واستفاد «الشاذلى» من مدة حبسه ليحقق رقما قياسيا فى ختم المصحف ٧٠ مرة خلال عام ونصف العام قضاها فى محبسه، وحرص «الشاذلى» على حفظ القرآن خاصة السور الطويلة منه، فكان يقرؤه

للعبادة والتدبر والتفكر والدراسة، فاستفاد من مدة حبسه بزيادة قربه من الله.

وبالرغم من كل هذه المزايا فإن الفريق «الشاذلى» لم يكن يشعر بالأمان، ولم يفارقه هاجس الإجهاز عليه ومحاولة قتله، لذا كانت تعليماته بعدم تغيير الحرس الخاص به إلا بإذنه، حتى لا يندس جديد بينهم بحجة حراسته لينال منه، وطلب منى تشديد الحراسة على البوابة الرئيسة، وكان يصعد أحيانا فوق سطح السجن ليعرف المنافذ التى يمكن أن توصل إليه من سيسعى لقتله إلى حجرته إذا صح ظنه.

وكان المشير طنطاوى قد أوصى للفريق «الشاذلى» بالاستعانة بالمستشار الطبى المعالج للمشير إذا ما احتاج الفريق «الشاذلى» لطبيب، ولكن الفريق «الشاذلى» كان يحب العدل فى كل شىء ويرفض التمييز، فعندما أصيب بآلام فى أسنانه قام طبيب الأسنان دون علم «الشاذلى» خلال أسبوع واحد بنقل معدات عيادته الخاصة إلى حجرة خاصة بالسجن لتصبح جاهزة خصيصا لعلاج «الشاذلى» فقط، وقام بتعقيمها، وساعدته إدارة السجن بإعداد حوائط الحجرة وتجهيز أرضيتها حتى أصبحت عيادة الأسنان الخاصة جاهزة لاستقبال «الشاذلى» وإذا به يغضب من هذا التمييز ويرفضه وطلب أن تتم معه الإجراءات المتبعة مع أى سجين والتى وضعها «الشاذلى» من قبل عندما كان رئيسا للأركان فأعاد الطبيب

معداته إلى عيادته بالعباسية، وكان الحرس يرافق الفريق «الشاذلى» فى ذهابه وإيابه إلى طبيب الأسنان خارج السجن تطبيقا للإجراءات المتبعة مع أى سجين عادى.

ولازالنا مع حديث اللواء أشرف راشد:

فى ليلة من الليالى وفى ساعة متأخرة من الليل حوالى العاشرة والنصف مساء قام محامى الفريق «الشاذلى» جلال الديب مع لواء من رئاسة الجمهورية بزيارة «الشاذلى» بحجة تفقد أحواله والاطمئنان على راحته ! ولكن الفريق «الشاذلى» طلب منى حضور المقابلة فعرفت أن حقيقة هذه الزيارة فى هذا الوقت المتأخر من الليل هى محاولة إقناع «الشاذلى» أن يكتب للرئيس مبارك بخط يده التماسا للعفو عنه وكان الطلب مفاجأة «للشاذلى» فرفضها فى إصرار. وطالت محاولات الزوار إقناع «الشاذلى» حتى امتدت لساعات الفجر، ولكن «الشاذلى» ظل على عناده فى الحق يرفض ويرفض، فقد كان شعوره بالظلم عظيما لايداويه أى عفو (إلى هنا انتهى حديث اللواء أشرف راشد)

ربما لم ينس مبارك أنه كان يوما تحت رئاسة «الشاذلى» رئيس الأركان يتلقى منه الأوامر العسكرية ليقوم بتنفيذها، والآن دارت الأيام على «الشاذلى» وأصبح تحت رحمة مبارك، فأراد مبارك من «الشاذلى» أن يستجديه فى طلب العفو، علاوة على أن مبارك لم ينس للشاذلى خلافه فى الرأى معه حول موقف مصر من حرب الخليج فى ١٩٩١م .

وأمـام اعتزاز «الشـاذلى» بنفسـه ويقينه من أنه علـى الحق رفض وبإصـرار أن يكتب مثل هذا الالتماس وهـو برىء، ليفوت على مبارك فرصة جرح كبريائه والانتقام منه، ورفض «الشـاذلى» رفضا شـديدا أن يُذل نفسـه ويتنازل عـن كبريائه ويطلب العفو مـن ظالمه وهو برىء، فيكفـى «الشـاذلى» أن مبارك سمح بإلغاء صور «الشـاذلى» من بين صور أبطال حرب أكتوبر وسمح بتبديلها بصور مبارك، وكثير من المحاولات لطمس تاريخ «الشـاذلى» وانتصاره العسـكرى العظيم فى حرب أكتوبر والتى كشفت عن رغبة مبارك فى إزاحة «الشاذلى» عن أضواء النصر .

ويعود اللواء أشـرف راشـد ليحدثنا هذه المرة عـن يوم الإفراج عن «الشاذلى» فيقول:

جاء قرار العفو عن الفريق «الشـاذلى» فى ٥ / ١٠ / ١٩٩٣م بمناسبة أعيـاد أكتوبر وبعد قضائه نصف مدة العقوبة (عام ونصف العام) كانت قد مضت على سـجنه، ويوم الإفراج ينتظره كل سـجين إلا «الشـاذلى» لم تفرحـه فرحة الإفـراج المتوقعة ! لأنه لم يكن عفـوا خاصا للفريق «الشـاذلى» بل كان عفوا عاما مع باقى السـاجين لحسـن السلوك وقضاء نصـف المدة، فلم يداو ذلك العفو جـرح ظلمه ولم يعيد الحق إلى نصابه على النحو الذى أراده «الشاذلى». (انتهى بذلك حوار اللواء أشرف)

فهل كان يليق بقائد عسكرى فى قامة الفريق «الشاذلى» بعد ما لاقاه من ظلـم وانتقام أن يأتيه العفو عاما مع باقى المسـاجين؟ هل يسـتوى الأبطال بالمجرمين والخارجين على القانون؟

وأخيرا خرج النسر من محبسه، خرج ليبدأ حياة جديدة يتنسم فيها الحرية في وطنه، ولم يثنه الإفراج عن تراجعه عن موقفه من السلطة حتى إنه أجرى في يوم خروجه حوارا مع جريدة الشعب أكد فيه ثباته على موقفه وإصراره على الدفاع عن قضيته.

وأعتقد أن ما كان يُقلق الرئيس مبارك وقتها من الفريق «الشاذلي» هو إصراره الشديد على إظهار الحقيقة، فتجاهل مبارك تكريم الفريق «الشاذلي» في الذكرى ٢٥ لنصر أكتوبر مع قادة القوات المسلحة! كما منع عنه (نجمة الشرف) وما يتبعها من مزايا مادية له ولأسرته حتى بعد العفو.

وأحسب أن الفريق «الشاذلي» كان ثروة قومية لم يُحسن نظام مبارك استخدامها لصالح مصر بعد عودته للوطن، واختصر تاريخه العسكري المشرف في خلافه مع الرئيس السادات، فلم يخسر «الشاذلي» شيئا بسجنه بل زاده الظلم قوة على قوته وخسرت مصر رجلا من خيرة رجالها وعبقرية عسكرية نادرة كان يمكن أن يضيف الكثير لوطنه فكيف ودع الفريق «الشاذلي» متاعبه هذه المره ليبدأ حياته الجديدة؟

❑❑❑